الكون ونشأته في الآيات القرآنية الكريمة

م . م . سماح حسن عباس الجنابي
مديرية تربية القادسية–وزارة التربية

استلام البحث
2026/6/26م
قبول النشر
2026/9/4م

الكلمات المفتاحية: الكون، نشأة الكون، الآيات الكونية، مراحل الخلق، القران الكريم

الملخص:

يتناول البحث دراسة أصيلة في أبعاد الإعجاز الكوني والبياني في القرآن الكريم، مبتدئاً بالتأصيل المفاهيمي لمصطلحي الكون والآيات بين المعاجم اللغوية ومعطيات الفيزياء الفلكية المعاصرة. يناقش البحث مراحل نشأة الكون وخلق السماوات والأرض في ستة أيام عبر توجيه دلالة الأطوار الزمنية وفق المدارس التفسيرية والجيوفيزيائية الحديثة، داحضاً دعاوى التعارض الحسابي المتوهمة. كما يسلط الضوء على الأبعاد العقدية والبرهانية لإعمال آلية التفكر في المنظومة الفلكية والبيئية عبر رصد واستقراء عشرة مواضع قرآنية تمثل منهجية القرآن في توظيف الظواهر الكونية لتشييد الحقائق الكونية، وإثبات البعث، وإقامة الحجة العقلية على المخالفين، مما يؤكد التكامل البنيوي بين النقل الصحيح والعقل الصريح.

المقدمة

تعد دراسة الظواهر الكونية في النص القرآني مرتكزاً أساسياً لتبين معالم الهداية واستنطاق الأدلة العقلية الباهرة على توحيد الصانع وحكمته. إن النص الحكيم لم يورد الحقائق الفيزيائية والفلكية والجغرافية في سوره لمجرد الاستعراض العلمي المحض، وإنما جاءت مسوقة بالدرجة الأولى لتقرير المسائل العقائدية الكبرى وتشيد حقائق الألوهية والبعث والنشور. ينطلق هذا البحث من ضرورة تفكيك البنية المفاهيمية للفظي الكون والآيات لبيان التحولات الدلالية من البيئة المعجمية القديمة إلى بيئة العلوم المعاصرة كعلم الكونيات. ومن ثم، يتعدى التأسيس النظري إلى محاورة المعضلات التفسيرية المحيطة بأطوار الخلق الستة، وعدد السماوات السبع والأرضين، مستأنساً بالدراسات الجيوفيزيائية والمدركات الأثرية. ويختم

البحث بتقديم صياغة برهانية تكشف عن مرامي وأبعاد عشرة مواضع تفصيلية اتخذ فيها القرآن الكريم من حركة الأجرام، وتبدل الأحوال الجوية، منصات حية لإثبات الإمكان العقلي والفعلي للبعث وإسقاط منطلقات الجهل.

الاطار العام للبحث

أولاً: مشكلة البحث

تتحدد مشكلة البحث في رصد ثنائية الفهم القائمة بين الإطلاقات اللغوية والمأثورة للآيات والكون وبين المدركات العلمية الحديثة، ومحاولة الإجابة عن التساؤل الآتي: كيف وظف البيان القرآني مفردات المنظومة الكونية من أجرام فلكية وسقف مادي وطبقات أرضية كأدلة برهانية عقلية لتقرير حقائق العقيدة، وكيف يمكن توجيه إشكالات المدد الحسابية وأعداد الأجرام في ضوء التكامل بين السنن الشرعية والكونية؟

ثانياً: أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من كونه يربط التحليل المفاهيمي اللغوي القرآني الدقيق بالواقع الجيوفيزيائي المعاصر، مما يسهم في بناء جدار الأمن العقدي وحماية الفكر المجتمعي من الانحراف والتشكيك، وتوفير أداة استدلالية رصينة تخدم المفسرين والباحثين في مقاربة آيات الإعجاز العلمي والكوني.

ثالثاً: فرضية البحث

يقوم البحث على فرضية أساسية مؤداها: أن التفكر في نشأة الكون وتقلب ظواهره الفيزيائية ليس نشاطاً حسياً عابراً، بل هو منهجية معرفية وعقلية صارمة يقود إعمالها بالضرورة اليقينية إلى الإقرار بوحدانية الخالق وانفراده بالتدبير والعبودية، وتلاشي أي تعارض متوهم بين صريح النقل وصحيح العقل والتجربة.

رابعاً: منهج البحث

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال تتبع وحصر الألفاظ وتنقيب المعاجم، واستقراء المواضع القرآنية الحاضنة للبعد الكوني، ثم إتباعه بالمنهج المقارن والتكاملي لمقاطعة آراء المدارس التفسيرية كالزمخشري ومجاهد مع الأطروحات العلمية الحديثة كأطروحة موريس بوكاي والبروفيسور عفيفي للخروج برؤية أكاديمية موحدة.

أبرز المصادر المستخدمة

القرآن الكريم، ويليه كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري، وبالإضافة إلى معجم لسان العرب لابن منظور، وكذلك كتاب القرآن الكريم والعلم الحديث

لموريس بوكاي، ومعه تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي، وأخيراً كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي.

المبحث الأول: التأصيل المفاهيمي للمصطلحات

المطلب الأول: الكون في اللغة والاصطلاح

تعد دراسة المصطلح وتأصيله المعجمي في البيئة اللغوية العربية مدخلاً أساسياً في حقل الدراسات القرآنية لتفسير حركة المفردة وتطورها الدلالي. ويتضح عند استقراء المعاجم اللغوية الأصيلة أن الجذر الثلاثي للفظ "الكون" (الكاف والواو والنون) يدور في فلك أصل واحد يدل دلالة قطعية على الإخبار عن حدوث شيء ما، سواء كان هذا الحدوث قد وقع وتقرر في زمن ماضٍ غابر، أو كان يقع ويتحقق في زمن حاضر مشهود (ابن فارس، د.ت، ص. 148).

وقد تواتر استعمال هذا المصدر في لسان العرب للتعبير عن معاني الوجود والوقوع الفعلي؛ حيث يقرر اللغويون أن عبارة "كان الشيء يكون كوناً" تعني بالضرورة أنه وقع وحضر حقيقة في أعيان الموجودات بذلك حيز العدم (ابن منظور، د.ت، ص. 3959).

وينعكس هذا الربط بين التكون والحضور الوجودي في المأثور من كلام العرب وأساليبهم التعبيرية؛ فكانوا يطلقون على الحادثة الطارئة لفظ "الكائنة"، ويجعلون الحركة مرادفة للتكون كما يظهر في قولهم لمن يكرهونه ويدعون عليه بالزوال والعدم: "لا كان ولا تكون"، مفسرين ذلك بأن قولهم "لا كان" دعاء بأن لا يُخلق، وقولهم "لا تكون" دعاء بأن لا يتحرك، مما يدل على أن التكون يمثل ذروة الحركية والنشاط الوجودي والحيوي (الأزهري، د.ت، ص. 375).

وفي سياق التدبير الفاعل لإيجاد المخلوقات وتشكيلها، تبرز نسبة هذا التكوين إلى الله ﷻ باعتباره مكنون الأشياء ومخرجها من العدم الصرف إلى الوجود العيني بكلمة الأمر التكوينية؛ حيث يوصف فعل التكوين بأنه عملية إيجاد تقتضي تركيب الشيء بالتأليف المتناسق بين أجزائه المتفرقة لتكتسب بنيتها المتكاملة (ابن منظور، د.ت، ص. 3962).

وعند الانتقال إلى الدلالات الفلسفية والمعجمية الأوسع، يظهر "الكون" باعتباره تعبيراً عن الوجود المطلق العام الشامل لكل الموجودات، كما يُطلق تحديداً على الحدوث المباغت الذي يقع دفعة واحدة بلا تدرج، كحدوث الضياء والنور عقب الظلام مباشرة، متميزاً بذلك عن الحدوث التدريجي المتتابع الذي يُصطلح عليه بالحركة، وممتداً ليشمل ثنائية الوجود الكبرى المتمثلة في "الكونين" أي الدنيا والآخرة (مجمع اللغة العربية، 1380، ص. 812).

ومع تطور المعارف الفلكية والفيزيائية في العصر الحديث، اكتسب مصطلح الكون أبعاداً فيزيائية تخصصية؛ إذ يُستعمل اليوم في علم الفلك والفيزياء الفلكية ليشير إشارة مطلقة إلى كل

كيان مادي أو طاقي موجود في هذا الوجود، بدءاً من الجسيمات دون الذرية المتناهية في الصغر والذرات البسيطة، وصولاً إلى المجرات الشاسعة والأجرام الفلكية الأكثر بعداً وعظمة (مجموعة من الباحثين، د.ت، ص. 285).

وبناءً على هذا التأطير المعاصر، يُطلق مسمى الكون في البيئة العلمية والقرآنية المعاصرة على هذا الفضاء الفسيح اللامتناهي بما يحويه من سماوات طباق وأراضين وما بينهما من سدم وغبار وأجرام، ضاماً في ثناياه كل متحرك وساكن مما تناهى إلى علم الإنسان ورصده، ومما غاب عنه وجهله من أسرار الغيب التي لم تبلغها قدراته الإدراكية بعد (آل عبد الله، د.ت، ص. 77).

ولتلخيص هذه التحولات الدلالية للكون بين معاجم اللغة العربية والفيزياء الفلكية المعاصرة، يُعرض الجدول الآتي لتوضيح طبيعة الفروق المفاهيمية:

المطلب الثاني: الآيات في اللغة والاصطلاح

يستلزم فهم مصطلح "الآيات الكونية" تفكيك اللفظة الأولى وصياغة تعريفها اللغوي والاصطلاحي في سياق التنزيل؛ إذ تدور مادة "الآية" في معاجم اللغة العربية حول معاني العلامة البارزة، والإمارة الظاهرة، والجماعة من الناس أو الأشياء، ويُجمع هذا اللفظ في لسان العرب على آيات وأي وآياي (الطبري، 2001، ص. 187).

وقد علل علماء التوجيه البياني تسمية الآية من التنزيل الحكيم بهذا الاسم بناءً على مادتها اللغوية؛ فقيل إنها سميت آية لأنها تمثل جماعة من الحروف والكلمات المترابطة، وقيل لأنها تشكل علامة واضحة لانقطاع حبل كلام وبداية كلام آخر يفضي القارئ منها إليه، فضلاً عن كون آيات الله عز وجل تمثل في ذاتها عجائب دالة على وحدانيته وعظمته (الكرماني، د.ت، ص240).

وتأتي الآية في الاستعمال المعجمي أيضاً بمعنى العبرة البالغة والموعظة التي يُعبر بها من حال إلى حال، كقوله تبارك وتعالى في سياق تتبع سيرة النبي يوسف :﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ وَآيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ (يوسف: 7)، أي أمور وعبر شتى يستفيد منها من يطلب المعرفة والهدى (ابن منظور، د.ت، ص. 185).

ولا تقف دلالة الآية عند حدود العلامات المعتادة بل تتجاوزها لتطلق إطلاقاً شائعاً على المعجزة الخارقة للعادة التي يؤيد الله بها أنبياءه ورسله، كقوله عز وجل في تكريم مريم وابنها عليهما السلام :﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ (المؤمنون: 50)، حيث كانت ولادة عيسى عليه السلام من غير أب علامة إعجازية باهرة تتجاوز القوانين البيولوجية الطبيعية (الزبيدي، د.ت، ص. 122).

وعند تتبع الاستعمال القرآني العام للفظ الآية في ثنايا سور القرآن الكريم، يظهر بجلاء انقسام هذا الإطلاق على معنيين جوهريين:

الاول: إطلاق الآية على "الآية الشرعية الدينية المتلوة"، وهي نصوص الوحي الإلهي المسطورة في المصحف الشريف والمنزلة هداية للعالمين، ومثاله قوله تعالى :﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (البقرة: 252) (الشنقيطي، 1415، ص. 339).

والثاني: إطلاق الآية على "الآية الكونية القدرية المشهودة"، وهي الظواهر الوجودية والمخلوقات المادية والفيزيائية المبثوثة في السماوات والأرض، كقوله سبحانه وتعالى :﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (فصلت: 37) (ابن تيمية، د.ت، ص. 322).

وقد ذهب طائفة من المحققين والمفسرين إلى إضافة إطلاق ثالث يتمثل في الآيات المعجزية التي يؤتاها الرسل كفلق البحر لموسى عليه السلام وإبراء الأكمه وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام، غير أن التدقيق العلمي يكشف أن هذه المعجزات والآيات الرسالية لا تخرج في جوهرها ومادتها عن كونها آيات كونية قدرية استثنائية أجراها الله على خلاف السنن الجارية (الشعراوي، د.ت، ص. 4755).

وبناءً على هذا التركيب المفاهيمي، يتحدد المراد بالآيات الكونية في اصطلاح المفسرين بأنها تلك المخلوقات والظواهر المنسوبة إلى الكون الذي خلقه الله العلي القدير بمشيئته فكان، متمثلة في أجرام السماوات والأرض وما حوتهما وما بينهما من سائر الذوات والصفات والأحوال الوجودية (الجزائري، د.ت، ص. 141).

وتشكل هذه الآيات الكونية ذواتاً وصفاتاً العجائب الإلهية المصنوعة بإتقان مطلق، وهي تمثل مناط الاستدلال العقلي والبرهاني على وجود الخالق المبدع وحده، واستحقاقه الخالص للعبادة، وانفراده بالربوبية والحكمة والرحمة والقدرة المطلقة (ابن عثيمين، د.ت، ص. 360).

ويتولى العلم الحديث اليوم بمختلف فروعه رصد هذه الآيات وتفسيرها ضمن ما يُعرف بـ "علم الكونيات(Cosmology) "، الذي يمثل علماً فيزيائياً فلكياً متخصصاً يبحث في تركيب الكون الشامل، وتتبع مراحل تطوره الحركي، ودراسة نشأته الماضية ومآلاته المستقبلية المتوقعة (مجموعة من الباحثين، د.ت، ص. 315).

المبحث الثاني بدايات نشأة الكون والسماوات والأرض

المطلب الاول: مراحل نشوء وخلق الكون وتوجيه مفهوم اليوم

تشير المعطيات الكونية المعاصرة إلى أن الكون قد اتخذ هيئته الحالية المستقرة عبر حقب وأزمان فلكية موغلة في السحيق، يعجز العلم التجريبي عن تحديدها وقياسها بدقة متناهية

وضبط قطعي، بينما جاء القرآن الكريم مشيراً إلى الفترات والمراحل التي استغرقها خلق السماوات والأرض في مواضع عدة؛ وذلك للتأكيد على عظمة الخالق سبحانه وقدرته اللامتناهية في إيجاد الكون وبثّ مكنوناته من العدم المحض خلال الفترة الزمنية التي يختارها تبارك وتعالى (بوكاي، 2015م، ص. 159-160). ومن المعلوم شرعاً وعقلاً أن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى فترات زمنية أو تعاقب مادي لإيجاد مخلوقاته، إذ إن أمره كلمح بالبصر؛ وإنما ذكر الفترات الزمنية استئناساً للبشر وحثاً لهم على التصبر والتروي في أداء الأعمال وإتقانها وتدبر سنن البناء وإن طال بها الزمن، لكون الله تعالى إذا أراد خلق شيء فإنما يقول له كن فيكون، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} (يس: 82)، وقوله سبحانه: {سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} (مريم: 35) (الشعراوي، د.ت، ص. 67).وقد حدد القرآن الكريم زمن خلق السماوات والأرض بستة أيام في آيات عديدة، منها قوله عز وجل: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} (الأعراف: 54)، وتواتر هذا المفهوم في سورة يونس (الآية 3)، وسورة الفرقان (الآية 59)، وسورة السجدة (الآية 3)، وسورة ق (الآية 38)، وسورة الحديد (الآية 4) (شلبي، 1986م، ص. 60-61). بيد أن مفهوم "اليوم" الوارد في هذه الآيات أثار نقاشاً تفسيرياً ولغوياً واسعاً بين العلماء والمفسرين لتحديد طبيعة هذا الزمن وكنهه (شلبي، 1986م، ص. 60). وفي سياق تحقيق معنى "اليوم" لغةً واصطلاحاً، يرى اللغويون أن اليوم في أصله يمثل المقدار المعهود من طلوع الشمس إلى غروبها، كما أنه يُطلق في لسان العرب على الوقت مطلقاً دون تقييده بحدود النهار (ابن منظور، د.ت، ج. 2، ص. 649). ويستند هذا التوجيه اللغوي للوقت المطلق إلى الحديث الشريف حيث قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: "ذلك أيام الهرج، قلت: ومتى أيام الهرج؟ قال: حين لا يأمن الرجل جليسه" (مسند أحمد، د.ت، ج. 1، ص. 448). وهو ما فصّله السهارنفوري في شرحه لهذا الحديث (السهارنفوري، 1346هـ، ج. 17، ص. 160)، وكما بينه الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري في كتاب الفتن (العسقلاني، 1401هـ، ج. 13، ص. 18). وبناءً على هذه الاختلافات المفهومية لليوم، تبلورت ثلاثة آراء رئيسية للعلماء والمفسرين (شلبي، 1986م، ص. 60-61) :الرأي الأول (مدرسة الزمخشري): ذهب الزمخشري إلى أن المقصود باليوم هو الأيام المعهودة في الدنيا وليس أيام الآخرة التي يقدر طولها بألف سنة، مرجعاً تخصيص العدد ستة بالذات دون غيره إلى داعي الحكمة الإلهية التي يعلمها الله يقيناً وإن لم يطلع عليها البشر أو يهتدوا إلى كنه معرفتها (شلبي، 1986م، ص. 60-61).الرأي الثاني (مدرسة التابعي مجاهد بن جبر): ذهب مجاهد بن جبر (ت 104هـ) وغيره من المفسرين إلى أن المقصود باليوم في آيات الخلق هو أيام الآخرة وأيام الله المقدرة

بمقادير عظيمة يعلمها سبحانه وتعالى، مستندين في ذلك إلى التنصيص القرآني على أن يوماً عند الله يعادل ألف سنة من أيامنا المعهودة في قوله تعالى: {وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} (الحج: 47) (شلبي، 1986م، ص. 60-61).الرأي الثالث (مدرسة التفسير العلمي المعاصر): طرح الطبيب الفرنسي موريس بوكاي رؤية تحليلية تفيد بأن مفرد كلمة "اليوم" يشير لغوياً إلى النهار أو المدة الواقعة بين طلوع الشمس وغروبها، غير أن صيغة الجمع "أيام" تتسع دلالتها لتشمل دهوراً طويلة جداً أو فترات وحقباً زمنية غير محدودة ممتدة لآلاف أو ملايين السنين (بوكاي، 2015م، ص. 159). ويؤكد هذا الاتجاه ضرورة فهم تقسيم مراحل الخلق باعتبارها "نوبات" أو "أطواراً زمنية طويلة"، وهو ما يتوافق تماماً مع حقائق العلم الحديث الذي أثبت بشكل قاطع أن العمليات الفيزيائية المعقدة لتشكل العالم قد مرت بست مراحل تطورية طويلة المدى (بوكاي Executive، 2015م، ص. 159-160).

وقد أوضح القرآن الكريم التفاصيل الدقيقة لتقسيم مراحل الخلق الست وتوزيعها بين الأرض والسماوات؛ حيث بيّن سبحانه أن خلق الأرض وتكوين مادتها الأولية المتخلخلة قد استغرق يومين اثنين، كما في قوله تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (فصلت: 9) (الشعراوي، د.ت، ص. 67). وعقب هذا الطور الأولي، خلق الله سبحانه الرواسي (الجبال) التي برزت في أعلاها لتستقر وتتزن، وقدر في هذه المادة أقوات الكائنات الحية من نباتات ومياه وكل ما تتطلبه الحياة المستدامة في يومين آخرين، ليصبح مجموع الأيام المخصصة للأرض أربعة أيام كاملة (بوكاي، 2015م، ص. 160).ثم انتقل السياق القرآني لبيان طور خلق السماوات وتسويتها من المادة السديمية الأولى في قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} (فصلت: 11-12)؛ حيث أوجد سبحانه المنظومة الفلكية بما تحويه من نجوم وأقمار وكواكب وشموس في يومين، ليكون المجموع العام لجميع العمليات الكونية هو ست مراحل زمنية طويلة الأمد لا تقيدها حدود الحساب البشري الضيق (بوكاي، 2015م، ص. 160).وقد توهم بعض الباحثين والمشككين وجود تعارض حسابي في هذه المدد؛ إذ اعتقدوا أن تخصيص يومين للأرض، وأربعة أيام للرواسي والأقوات، ويومين للسماوات يؤول حسابياً إلى ثمانية أيام، وهو ما يناقض صريح الآيات الأخرى المحددة للخلق بستة أيام (بوكاي، 2015م، ص. 160). والواقع العلمي والشرعي ينفي هذا الإشكال تماماً؛ فالله جل وعلا أجمل تفصيل خلق الأرض كالتالي: خُلقت الأرض أولاً في يومين، ثم أُتم خلقها وتقدير أقواتها في أربعة أيام كاملة، مما يعني أن اليومين الأولين هما جزء مدمج ولزيم من الأيام الأربعة الكلية المحددة لتهيئة الأرض

وإخراج أقواتها (أي أن التقدير والتثبيت استغرق يومين إضافيين فوق يومي الخلق الأولي). وبذلك تكون مدة خلق الأرض كاملة أربعة أيام، يضاف إليها يومان لخلق السماوات ليتطابق المجموع الحسابي تماماً مع الستة أيام الإجمالية للخلق. وقد سد القرآن الكريم منافذ التشكيك ببدئه النص بالاستفهام التوبيخي والإنكاري للكافرين والمجادلين الذين يسعون لنشر الشبهات وتأويل الآيات بغير علم إضلالاً عن سبيل الله (الشعراوي، د.ت، ص. 67).

وفي السياق ذاته المتعلق بنشأة الكون وتطوره، تتجلى الإشارة القرآنية بوضوح تام في سورة الأنبياء (الآية 30) في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}؛ وهذا الوصف القرآني البليغ لعملية "الفتق" بعد "الرتق" يوافق تماماً ما توصل إليه علم الفلك الحديث حول نشأة الكون، حيث يشير إلى المرحلة التي تم فيها انفصال الغبار الكوني من السديم والغاز، لينفصل ويتناثر إلى أجزاء وأجرام سماوية متعددة ومستقلة، مما يؤكد التطابق المذهل بين حقائق العلم وإشارات الوحي المبين.

المطلب الثاني: عدد السماوات والأرض والدراسات الجيوفيزيائية والمفسرين

قرن القرآن الكريم عدد السماوات بالرقم سبعة (7) في عشرات الآيات إشارةً واضحة إلى تعدد العوالم الفلكية؛ حيث استخدم النص القرآني الرقم سبعة أربعاً وعشرين مرة دلالةً على التعدد الفلكي (بوكاي، 2015م، ص. 163). ويعود الرقم سبعة على السماوات بمعناه الحقيقي الصرف سبع مرات في كتاب الله، كقوله عز وجل: {فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ} تامّات الخلق والتركيب والتكوين (المراغي، د.ت، ج. 1، ص. 76). وعبر القرآن الكريم عن هذه السماوات بـ "الطرائق" في قوله سبحانه: {وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ} (المؤمنون: 17) ، وبـ "الطباق" في قوله: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً} (الملك: 3)، وبمعنى الطباق والشداد أيضاً كقوله تعالى: {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً} (النبأ: 12) (الإعجاز القرآني، د.ت، ص. 239).وتشير هذه الأوصاف مجتمعة إلى أن السماوات السبع مصممة هندسياً على شكل فلك مستدير مقفل ومحدود بجوانب وأقطار محددة بدليل قوله تبارك وتعالى: {يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} (الرحمن: 33) (الإعجاز القرآني، د.ت، ص. 239). فالقطر في اللغة والاصطلاح يمثل الخط المستقيم الواصل بين نقطتين على الدائرة والمار بمركزها، والأقطار تعني الجوانب التي يتوصل منها إلى داخل الشيء (الإعجاز القرآني، د.ت، ص. 239). وقد جاء استخدام لفظ "النفاذ" مع أقطار السماوات والأرض في سورة الرحمن، بينما جاء لفظ "الدخول" مع الأقطار في سورة الأحزاب في قوله تعالى: {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لَآ تَوْهَا} (الأحزاب:

14). وهذا التمييز بين النفاذ والدخول يمثل غاية الدقة والفصاحة العلمية؛ إذ إن الدخول يتصور في الأشياء المفتوحة التي لا تمتنع بنفسها، بينما النفاذ يتطلب قوة وسلطاناً لاختراق الحواجز والأقطار المغلقة صلبة التكوين (الإعجاز القرآني، د.ت، ص. 239).دلالة السماء لغةً وشرعاً وتوجيه آراء المفسرين تطلق السماء في اللغة على كل ما علا وارتفع فوق الرؤوس، فتشمل الغلاف الجوي للأرض، والسحاب، وسقف البيت. أما بالمعنى الشرعي والاصطلاحي، فالسماء عبارة عن السقف المادي الحقيقي والمحكم الذي يحيط بكل ما بداخله من مجرات وسدم وشموس ونجوم وكواكب، وهو مفهوم يقترب بصورة واضحة من معطيات نظرية النسبية العامة (الإعجاز القرآني، د.ت، ص. 241). وحمل الألفاظ القرآنية على الحقائق الشرعية مقدم باتفاق الأصوليين على حملها على الحقائق اللغوية إلا بقرينة صارفة. وقد أكد القرآن الكريم مادية سقف السماء الدنيا وحراستها الشديدة بشهادة الجن في قوله تعالى: {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ} وقوله سبحانه: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً} (ابن كثير، د.ت، ج. 3، ص. 5). كما يعضد حديث الإسراء والمعراج الصحيح وجود السقف المادي للسماء من خلال طلب الاستفتاح عند البوابات لكل سماء (ابن كثير، د.ت، ج. 3، ص. 5).وقد اختلف العلماء والمفسرون في تفسير حقيقة وتوجيه السماوات السبع على قولين أساسيين (القاسمي، د.ت، ج. 2، ص. 91-92) :القول الأول: ذهب بعض العلماء إلى أن السماوات السبع المذكورة في القرآن الكريم هي الكواكب السيارة السبع الكبرى، وخصت بالذكر لعظمها ومكانتها البارزة، مع عدم نفي وجود أجرام كوكبية أخرى لكون الذكر لا يفيد الحصر المطلق (القاسمي، د.ت، ج. 2، ص. 91). غير أن هذا الرأي تهافت علمياً أمام الكشوف الفلكية الحديثة التي أثبتت أن عدد الكواكب السيارة في مجموعتنا الشمسية وخارجها يزيد بكثير عما كان معلوماً قديماً. القول الثاني: يرى بعض علماء اللغة أن العرب تطلق أرقام "سبعة" و"سبعين" و"سبعمائة" لإفادة المبالغة والكثرة دون إرادة الحصر العددي الفعلي (القاسمي، د.ت، ج. 2، ص. 92-93). وهذا الرأي مردود شرعاً؛ لكون التنصيص القرآني في مواضع التحدي والتعظيم يحمل على الحصر الفعلي للعدد المذكور، كقوله تعالى في سورة المؤمنون: {قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} (المؤمنون: 86). والعدد سبعة في كلام العرب يعد رقماً قليلاً لا يستعمل للمبالغة بمفرده كما يستعمل الرقم سبعون، وبالتالي فإن دلالته على الحصر والعددية الحقيقية أولى وأقوى. ولا منافاة إطلاقاً بين حصر السماوات في سبع وبين كثرة وتعدد المجرات التي خلقها الله محتوية على ملايين الأجرام والكواكب التي تسبح في أفلاك كروية ودائرية مقدرة. عدد الأرضين في التوجيهات الأثرية والدراسات الجيوفيزيائية لم يرد ذكر الأرض بلفظ الجمع صراحة في القرآن

الكريم، وإنما فُهم عددها السبع من دلالة المثلية الواردة في قوله تبارك وتعالى: {اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} (الطلاق: 12) (ابن كثير، د.ت، ج. 4، ص. 385). وقد اختلف المفسرون قديماً وحديثاً في توجيه معنى هذه المثلية وعدد الأرضين على ثلاثة آراء رئيسية (عفيفي، د.ت، ص. 41): الرأي الأول: ذهب فريق من العلماء إلى أن الأرضين سبع في العدد كالسماوات تماماً؛ لأن الكيفية والصفة مختلفة بالمشاهدة الحسية، فتعينت المثلية في العدد الفعلي. وأكد هذا الفريق أن الأرضين السبع كتل مادية صلبة متلاصقة وملتصقة بعضها ببعض دون وجود أي فضاء كوني يفصل بينها (عفيفي، د.ت، ص. 41).الرأي الثاني: ذهب مفسرون آخرون إلى أن المقصود بالأرضين السبع هو الأقاليم السبعة الجغرافية التي تفصل بينها البحار والمحيطات والمسطحات المائية (النسفي، د.ت، ج. 2، ص. 2). وقد رَدّ الحافظ ابن كثير هذا التوجيه بقوة قائلاً: "من حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند" (ابن كثير، د.ت، ج. 4، ص. 385).الرأي الثالث: رأى بعض المتكلمين أن المثلية الواردة تنصرف إلى الخلق والتدبير والصنع لا إلى العدد الفعلي (النيسابوري، د.ت). غير أن هذا القول يضعف أمام الحديث الصحيح المتفق عليه: "من ظلم قيد شبر في الأرض طوقه من سبع أرضين" وقد قدمت الدراسات الجيوفيزيائية المعاصرة برهاناً علمياً دقيقاً يتوافق مع القول بالتلاصق الطبقي للأرضين السبع؛ حيث أثبت البروفيسور محمود سراج الدين عفيفي أن كوكب الأرض يتكون بنيوياً وفيزيائياً من سبع طبقات متراكبة تماثل التقسيم الطباقي (عفيفي، د.ت، ص. 115، نقلاً عن قوانين الله وليست قوانين الطبيعة).

المبحث الثالث: التفكر في نشأة الكون ودلالات الآيات القرآنية عن نشأة الكون

المطلب الأول: التفكر في الكون ونشأته

يمثل الخلق الإنساني ذروة التكريم الإلهي في هذا الوجود؛ إذ أنعم الله تبارك وتعالى على بني آدم بنعمة العقل والتفكير ليميزهم بها عن سائر الجمادات والحيوانات، وجعل هذه النعمة وسيلتهم الأساسية للتعرف على عظمته وتوحيده، والقيام بأعباء الخلافة وتعمير الأرض (الغزالي، د.ت، ص. 501).

وقد حفلت نصوص الوحي الإلهي في مواضع لا تحصى بالأمر بالتفكر وإعمال النظر؛ فشمل ذلك الحث على تدبر الآيات المتلوة المسطورة، والتأمل في الآيات الكونية المشاهدة المنظورة، والاعتبار بسير الأنبياء مع أقوامهم لمعرفة سنن التاريخ البشري ومآلات الإيمان والكفران (ابن القيم، د.ت، ص. 279).

وينبه القرآن الكريم في أساليب بيانية متنوعة إلى أن هذه النعم والآيات الكونية العظيمة لا ينتفع بمدلولاتها العميقة إلا أصحاب العقول الراجحة والقلوب الواعية، وهم الذين يعقلون ويتفكرون ويتدبرون حركة السنن الوجودية (السعدي، 2001، ص. 1106).

إن التفكر والاعتبار المطلوب شرعاً في المنظور العقدي هو ذلك "النشاط المعرفي والروحي المتمثل في سير القلوب والأبدان الذي يتولد عنه الاعتبار الحقيقي، أما مجرد النظر الحسي العابر بالعين وسماع الأذن دون وعي عقلي فإنه يظل عاجزاً عن بلوغ غاياته المعرفية والإيمانية" (السعدي، 2001، ص. 1106).

ومن هنا، يدفع القرآن بالإنسان دفعاً للتأمل والتدبر في بديع الصنع الإلهي في آفاق السماء الشامخة وشمسها وقمرها وأجرامها، وتقلب ليلها ونهارها، وفي تضاريس الأرض وجبالها الراسية وأنهارها ونباتاتها العجيبة، للوصول إلى حقيقة يقينية مفادها أن حفظ هذا النظام الكوني المعقد وثبات قوانينه الفيزيائية ممتنع على أي مخلوق، ولا يقدر عليه إلا الله العلي القدير (شحاته، د.ت، ص. 81).

ولقد بين المحققون والعلماء أن الله تعالى يعرف عباده بنفسه وبصفاته العلا من طريقين متكاملين هما الطريق الأول عن طريق النظر في مفعولاته ومخلوقاته، وهي آياته المشهودة المنظورة في الآفاق والأنفس، والطريق الثاني عن طريق التفكر والتدبر في آياته المتلوة المسموعة المعقولة المضمنة في كتابه العزيز (ابن القيم، د.ت، ص. 31).

ويُظهر الرصد الإحصائي لآيات الكتاب العزيز حضوراً مكثفاً للبعد الكوني؛ إذ يضم القرآن الكريم ما لا يقل عن ثمانمائة آية كونية صريحة (الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث، د.ت، ص. 81)، وتجاوزت عند بعض المفسرين الألف آية (الذهبي، د.ت، ص. 506). وقد وثقت هيئات عالمية اعداد احصائية للآيات والأحاديث النبوية الكونية والطبية كثيرة وهذا الزخم الإحصائي يؤكد المنهجية البنائية للعقيدة الإسلامية القائمة على التكامل التام بين النقل الصحيح والعقل الصريح (الآيات الكونية في ضوء العلم الحديث، د.ت، ص. 81).

وتبرز أهمية هذه الآيات في هداية القلوب من خلال ما روي في بكاء النبي ﷺ الطويل عند نزول قوله تعالى :﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 190)؛ حيث علق النبي ﷺ على عظم هذه الآية بقوله: "ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها" (ابن حبان، د.ت، ص. 386).

فالقرآن يطالب البشر بالتدبر والاعتبار في هذه النظم الفيزيائية والفلكية المسخرة لمعاشهم؛ إذ يمثل تباين الليل والنهار وحركتهما المتناوبة فرصة دائمة للتصرف في المعاش طلباً للرزق نهاراً، والخلود للراحة والسكينة ليلاً (الطبري، 2001، ص. 260).

إن التأمل العميق في السماوات بكواكبها الثوابت والسيارات، وشمسها وقمرها، ونزول الغيث وإحياء الأرض الهامدة بالنباتات والأزاهير، وانتشار الدواب باختلاف أشكالها ومنافعها، وعجائب البحار الجارية بأمر مسخرها، يقود مباشرة إلى ترسيخ قيم التوحيد ونبذ الشرك والتبعية للمخلوق العاجز (ابن كثير، 1999، ص. 449).

وتجدر الإشارة إلى أن الغرض من ذكر هذه الحقائق والآيات الكونية لم يكن قط لمجرد الاستعراض العلمي المحض، وإنما سيقت مساقاً استدلالياً تابعاً لتقرير المسائل العقائدية والكلية الكبرى كالألوهية والنبوات والبعث والنشور (الماجد، 1425، ص. 1).

فالكون يمثل منصة براهين بيئية تشهد بوحدانية الصانع وقدرته المطلقة وحكمته البالغة التي تقتضي تنويع المخلوقات وتكامل وظائفها (ابن القيم، د.ت، ص. 214).

وقد بين الله تعالى لبعض المفردات الكونية كالنجم حكماً خاصة كزينة السماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها في المسالك الجغرافية، ليعلم المتفكر أن هذا الكون مبرأ من العبث والخلل (السعدي، د.ت، ص. 32).

وتبرز فاعلية الآيات الكونية في بناء الأمن العقدي وحماية المجتمع من الانحراف الفكري عبر توظيف الأدلة والبراهين العقلية الملموسة لتثبيت قيم الإيمان والبعث والتوحيد في النفوس (الزايدي، د.ت، ص. 239).

وعندما ينكر الجاحدون حتمية البعث والنشور بعد فناء الأجساد، يقدم القرآن الكريم آيتين كونيتين مشهودتين تمثلان برهاناً عقلياً صارماً لإثبات إمكانية الإعادة؛ أولاهما خلق الإنسان ابتداءً من تراب ونطفة، وثانيتهما إحياء الأرض الهامدة بالماء والإنبات (القرطبي، د.ت، ص. 6).

فالذي ابتدأ الخلق البشري من العدم، وأحيا الأرض الجافة بعد موتها بقطرات المطر، قادر بالضرورة العقلية على إعادة الأجساد وبعثها من قبورها؛ إذ يمثل الخلق الأكبر للسماوات والأرض دليلاً على إمكانية إيجاد ما هو دونهما من المخلوقات (السعدي، 2001، ص. 1090).

وينوع التنزيل الحكيم من أساليبه التوجيهية للوصول بالبشر إلى جادة الحق، مستخدماً السؤال الاستنكاري القائم على معطيات الآيات الكونية لإفحام الخصوم وإقامة الحجة البالغة عليهم بأسلوب تربوي بليغ يقود النفوس للإذعان لربوبية الخالق (ضليمي، د.ت، ص. 38)

المطلب الثاني: المواضيع القرآنية التي وردت فيها الآيات القرآنية التي تناولت الكون

يتوزع البيان القرآني في معالجته للمسألة الكونية على مواضع متعددة، يوظف في كل منها ظاهرة كونية محددة لبناء حجة عقلية وتشييد حقيقة عقدية. وفيما يلي استعراض تفصيلي لعشرة مواضع قرآنية تناولت الكون بالتحليل والتفسير العقدي واللغوي المعتمد:

الموضع الأول:

الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 190).

يوجه الحق جل جلاله الخطاب في هذا الموضع إلى البشرية، مرشداً إياها إلى أن ما أنشأه وأوجده في العوالم العلوية والسفلية من دقة وإتقان، وما تعاقب واختلف في الزمن من تعاقب الليل والنهار بالظلمة والنور والطول والقصر لمعاش الناس وراحة أبدانهم، يضم براهين وعظات واضحة تنبه القلوب وتذكر العقول بحقيقة الخالق وتفرده بالخلق والتدبير (الطبري، 2001، ص. 260).

وتمثل هذه الآية البوابة الرئيسة لإعمال العقل؛ إذ يروى عن النبي ﷺ بكائه عند نزولها ليلاً بكاءً شديداً بل لحيتة والأرض من تحته، ولما سأله بلال عن سبب بكائه وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أجابه قائلاً: "أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها" (ابن حبان، د.ت، ص. 386). ويؤكد هذا النص النبوي أن إغفال النظر في هذه الحركة الفلكية والجيولوجية للكون يعد تفريطاً في نعم الله العقلية، وتعطيلاً لأعظم مجالات اليقين الإيماني المعزز للنبوة والعقيدة (ابن حبان، د.ت، ص. 386).

الموضع الثاني:

الآية الكريمة: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: 101).

يرشد تبارك وتعالى عباده للتأمل الدقيق والواعي في باهر خلقه؛ ففي السماوات كواكب نيرات ثوابت وسيارات سابحة في مداراتها، وتناوب مستمر وشمس وقمر يمدان الأرض بالحرارة والنور، مع سماء مرفوعة متسعة مزينة بالنجوم. وفي الأرض، ماء ينزل من السماء ليحيي تربتها الميتة فتخرج أصناف الثمار والزروع البهية، وتنتشر الدواب المتنوعة الأشكال والمنافع، والجبال الراسية الشامخة، فضلاً عن البحار المسخرة التي تجري فيها الفلك برفق لتسهيل سبل السفر والتجارة (ابن كثير، 1999، ص. 449).

تحث هذه الآية حثاً مباشراً على المشاهدة الحسية والتفكير المنهجي كسبيل للإيمان العلمي. غير أن المقطع الأخير من الآية يضع تحليلاً عقدياً عميقاً للتلازم بين الاستعداد النفسي للإيمان وقبول الحجة؛ فالآيات الكونية الباهرة، وبراهين الرسل الساطعة، لا تجدي نفعاً ولا تهدي قلباً أصر على الجحود وحقت عليه كلمة العذاب الإلهي، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: 96-97) (ابن كثير، 1999، ص. 449).

الموضع الثالث:

الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 164).

تسرد الآية ثمانية مظاهر كونية مترابطة في نسيج واحد؛ خلق البيئة العلوية والسفلية، وتناوب الزمان، وحركة السفن التجارية الحاملة لأقوات البشر، ودورة المياه من تبخر وهطول وإحياء للنباتات والزروع، وحياة وتكاثر الدواب، وتوجيه الرياح وتصريف السحب المسخرة في طبقات الجو (ابن القيم، د.ت، ص. 31).

تمثل هذه الآية الكريمة الدعامة الأساسية لما أسماه ابن القيم "الطريق الأول" في معرفة الباري جل وعلا من خلال مفعولاته وآياته المشهودة (ابن القيم، د.ت.، ص. 31). وتتجلى الحكمة في هذا الجمع التفصيلي للظواهر الجغرافية والفيزيائية لبيان الترابط الوظيفي والبيئي للكون؛ فالرياح تحرك السحاب، والسحاب ينزل المطر، والمطر يحيي الأرض لتتغذى الدواب، وتجري السفن بالبحار لنقل هذه الخيرات. هذا التناسق والترابط يحيل العقل وجوباً إلى يقين بأن وراء هذه السلسلة المحكمة خالقاً واحداً، حكيماً، مديراً، قادراً.

الموضع الرابع:

الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ... وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: 5).

يقدم الموضع دليلين عقليين حسيين يزيلان أي شك أو اشتباه في مسألة المعاد وإحياء الأجساد بعد بلائها؛ الدليل الأول هو بدء نشأة الإنسان وتدرجه في الرحم من نطفة فعلقة فمضغة، والدليل الثاني هو مشهد الأرض الجافة اليابسة (الهامدة) التي لا نبات فيها، فبمجرد هبوط الغيث عليها تتحرك بالخضرة وتنتفخ بالإنبات لتنتج أصناف النباتات البهيجة النافعة (السعدي، 2001، ص. 1090).

يوظف النص الحكيم القياس العقلي الكوني لإثبات قدرة الخالق على إحياء الموتى؛ فـ"إن الذي أحيا هذه الأرض الهامدة بالنبات قادر بيقين على إحياء الموتى بعد فنائهم" (القرطبي، د.ت، ص. 6). ويرتكز هذا التحليل على قاعدة عقلية كبرى مفادها أن الاستدلال بقدرته سبحانه على ما هو أكبر خلقاً وتكويناً - كخلق السماوات والأرض يجعل استبعاد إعادة خلق الإنسان الصغير أمراً متهافتاً عقلياً، ومناقضاً للمشاهدة اليومية لإحياء الطبيعة بعد موتها (السعدي، د.ت، ص. 30).

الموضع الخامس:

الآية الكريمة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: 12).

يبين الحق سبحانه وجوه التسخير الإلهي للمخلوقات الفلكية الكبرى لصالح البشر؛ فالليل للسكن والراحة، والنهار للحركة والمعاش، والشمس والقمر لحساب السنين والشهور وتوفير الإضاءة ونضج الزروع، والنجوم للاهتداء في ظلمات البر والبحر ومصالح السير (شحاته، د.ت، ص. 81).

وتحرك هذه الآية العقول للتفكر في دقة القوانين الكونية وثباتها الفلكي؛ إذ إن تسيير هذه الأجرام السماوية الهائلة على وتيرة منتظمة من دون استعصاء أو اضطراب يبرهن قطعاً على خضوعها التام لأمر مدبرها ومصرفها جل وعلا (السعدي، د.ت، ص. 32). وتثبت الآية أن انفراد الله بحفظ هذا النظام البديع وصيانته من التفكك يبطل أي ادعاء لربوبية غيره، ويوجه العاقل إلى إخلاص الشكر والعبودية لصاحب هذا التسخير العظيم (شحاته، د.ت، ص. 82).

الموضع السادس:

الآية الكريمة: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: 17).

يطرح القرآن الكريم هنا سؤالاً تقريعياً يوازن بين شأن الله الخالق المبدع لكل عوالم الوجود، وبين الأصنام والمعبودات الباطلة التي لا تقدر على خلق شيء بل هي مخلوقة عاجزة، مستثيراً وعي السامع للاعتبار والاتعاظ (شحاته، د.ت، ص. 81).

يعد هذا الموضع صياغة بليغة لقضية الألوهية القائمة على صفة الخلق؛ فكل ما في الكون والآفاق من مظاهر العظمة والحكمة والرحمة يشهد بتفرد صانعه بالربوبية (شحاته، د.ت، ص. 82). وبالتالي، فإن مساواة هذا الإله الخالق المدبر بمعبودات عاجزة هو انحراف فكري فادح لا يرتكبه ذو عقل راشد وتفكير سليم، مما يبرز دور الآيات الكونية كأدلة عقلية تفصل بين التوحيد والشرك وتؤسس لسلامة المعتقد (ابن القيم، د.ت، ص. 214).

الموضع السابع:

الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: 37).

يستدل تبارك وتعالى بأربع من آياته الكونية القدرية المشهورة؛ الليل والنهار كظاهرتين زمنيتين متعاقبتين، والشمس والقمر كأجرام مضيئة مسخرة، ناهياً البشر عن السجود لهذه المخلوقات العظيمة بذاتها، وموجهاً السجود والعبادة للذات الإلهية التي أوجدتهن وصاغت وجودهن (الشنقيطي، 1415، ص. 339).

يكمن التحليل العقدي في إيضاح علة الخلق والتسخير؛ فالأجرام الكونية الكبرى رغم بهائها وعظيم نفعها للبشر لا تمتلك في ذاتها قوى التدبير ولا تستحق السجود والتعظيم، بل هي "آيات دالة" ووسائل معرفية تقود العقل البشري للسجود والذل لخالقها جل جلاله (الشعراوي، د.ت، ص. 5596). إن تعليق العبادة بـ "الذي خلقهن" يكرس البعد العقدي للكون باعتباره محراباً للحق لا موضوعاً لغيره (الشنقيطي، 1415، ص. 339).

الموضع الثامن:

الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: 21).

يعرض الموضع آية كونية بالغة الدقة تتعلق بالخلق البشري وبنيته الاجتماعية والنفسية؛ متمثلة في جعل الجنس البشري منقسماً إلى ذكور وإناث تتآلف نفوسهم وتلتقي لتتحقق السكينة النفسية، مع غرس مشاعر المودة المتبادلة والرحمة المشتركة بينهما كعامل لاستقرار الحياة (الجزائري، د.ت، ص. 141).

يبرز هذا الموضع شمولية مفهوم الآية الكونية لتشمل عوالم الأنفس والأحوال والصفات الإنسانية؛ فبناء العلاقات الاجتماعية والنفسية على قيم المودة والرحمة ليس وليد صدفة مادية، بل هو تقدير كوني دقيق مبني على الرحمة الإلهية والحكمة البالغة (ابن عثيمين، د.ت، ص. 360). ويعد هذا التآلف مادة خصبة للتدبر العقلي الكاشف عن كمال صفات الخالق المعبود وتفرده بالوحدانية والتدبير اللطيف بخلقه (الشنقيطي، 1415، ص. 339).

الموضع التاسع:

الآية الكريمة: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (الضحى: 1-2).

يقسم الحق عز وجل في مستهل هذه السورة بآيتين كونيتين جليلتين؛ وقت الضحى بما يمثله من انتشار للضياء والحركة والمعاش، ووقت الليل البهيم إذا سكن بالظلام وغطى الوجود وهدأت فيه الكائنات (ابن كثير، 1999، ص. 558).

يظهر هذا الموضع التوظيف القرآني لقسم الله بآياته الكونية لدعم حقائق النبوة والرسالة وتثبيت فؤاد النبي ﷺ؛ فالله الذي يدبر هذا الوجود فيتقلب بين ضحى مشرق وليل مظلم ساجٍ بتقدير حكيم، هو الرب اللطيف الذي لم يترك نبيه محمداً ﷺ ولم يودعه بالقطع بعد انقطاع الوحي عنه فترة من الزمن (ابن كثير، 1999، ص. 558). إن الربط الحكيم بين حركة الضحى والليل وثبات العهد الإلهي للرسول يرسخ في النفوس هيبة الإيمان بالرسالة وصدق النبوة عبر إجلال عظمة المظاهر الكونية المقسم بها (الزايدي، د.ت، ص. 239).

الموضع العاشر:

الآيات الكريمة: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: 61-63).

يستعمل المخطط القرآني هنا صيغة السؤال الاستفهامي الاستنكاري الموجه للمشركين؛ طارحاً عليهم قضايا نشأة الكون وحفظ حركته وتسخير أجرامه (الشمس والقمر)، ودورة المياه وإنبات الأرض بعد الجدب، فيجيب المشركون مقرين بأن الفاعل في كل ذلك هو "الله" وحده (ضليمي، د.ت، ص. 38).

يكشف هذا الموضع عن تناقض فكري واضطراب منهجي في البنية؛ إذ يقر المشركون إقراراً كلياً بربوبية الله جل جلاله وتفرده بالخلق الكوني والإمساك بمسارات الفلك، لكنهم يقعون في التوحيد العملي بإشراكهم معبودات عاجزة في العبادة والألوهية (ضليمي، د.ت، ص. 38). ولهذا جاء التعقيب الحاسم بـ "بل أكثرهم لا يعقلون" لينبه العقول إلى التلازم المنطقي الحتمي بين الإقرار بالربوبية الكونية وإفراد الله بالعبودية الحقة، جاعلاً من الكون ونشأته حجة دامغة تنسف أوهام الشرك والإنكار بأسلوب برهاني مقنع (السعدي، د.ت، ص. 30).

الخاتمة والاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات:

1. يظهر التأصيل المفاهيمي لمصطلح الكون في البيئة المعجمية والقرآنية المعاصرة توافقاً بنيوياً مع معطيات الفيزياء الفلكية، حيث تحول الدلالة من الإخبار عن مجرد الحدوث والوقوع إلى

الشمولية المادية والطاقية لكل الكيانات الوجودية من الجسيمات دون الذرية إلى المجرات الشاسعة.

2. يكشف توجيه دلالة اليوم في آيات الخلق عن مرونة تعبيرية في لسان العرب تتجاوز المقدار المعهود لليوم الشمسي إلى مفهوم الأطوار والحقب الزمنية الطويلة، مما ينفي أي تعارض حسابي متوهم في مدد خلق الأرض والسماوات ويؤكد تكامل البناء الكوني في ستة أطوار متناسقة.

3. يمثل مفهوم السقف المادي المحكم والمحدود بأقطار للسماء الدنيا مرتكزاً تفسيرياً يقترب من الأطروحات الفيزيائية الحديثة ونظرية النسبية العامة، مما يعزز الحقيقة الشرعية والأثرية لطبيعة السماوات السبع المبنية على التلاصق والشدة.

4. تثبت الدراسة الجيوفيزيائية المعاصرة لكوكب الأرض التوجيه الأثري القائم على التلاصق الطبقي للأرضين السبع، حيث يتطابق التقسيم البنيوي لطبقات الأرض السبع مع منطوق المثلية الواردة في النص القرآني.

5. يتضح من خلال استقراء المواضع القرآنية العشرة أن السياق التنزيلي لا يورد الظواهر الكونية والأبعاد الجغرافية لمجرد العرض العلمي، وإنما يوظفها كمنصة براهين بيئية قاطعة لبناء العقيدة، وإثبات حتمية البعث، وإقامة الحجة البالغة لإفراد الخالق بالعبودية والتوحيد.

التوصيات:

1. ضرورة تعميق الشراكة الأكاديمية بين كليات الشرايع والدراسات القرآنية وبين كليات العلوم التطبيقية والجيوفيزياء، لإنتاج بحوث مشتركة تخدم هذا الحقل وفق ضوابط التفسير الرصينة.

2. توجيه طلبة الدراسات العليا في أقسام التفسير وعلوم القرآن إلى تتبع التحولات الدلالية للمصطلحات الكونية بين المعاجم الأصيلة والمكتشفات العلمية المعاصرة لضمان دقة الاستدلال الأكاديمي.

3. إدراج مادة تدرس مظاهر الكون ونشأته في القران الكريم كمتطلب أساسي في البرامج التعليمية الجامعية، بهدف حماية الأمن الفكري والعقائدي للشباب وتأصيل منهجية النظر والتفكر الإيماني القائم على التكامل بين النقل والعقل.

4. العناية بترجمة البحوث والكتيبات الأكاديمية التي تبحث في قضايا الإعجاز الجيوفيزيائي والفلكي في القرآن الكريم إلى اللغات العالمية المختلفة، لدعم الحوار العلمي والحضاري وإبراز المنهجية البنائية للعقيدة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن حبان، محمد بن حبان البستي. (1993م). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (ط. 2). تحقيق: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
2. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1380هـ/1960م). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق: محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة.
3. ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (1420هـ). تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن. الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
4. ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (1425هـ). القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن. تحقيق: خالد بن عثمان السبت. الدمام: دار ابن الجوزي.
5. ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (2001م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الدمام: دار ابن الجوزي.
6. ابن عثيمين، محمد بن صالح. (1423هـ). تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة). الدمام: دار ابن الجوزي.
7. ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني. (1979م). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر.
8. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (1407هـ/1986م). الفوائد. تحقيق: أحمد راتب عرموش. بيروت: دار النفائس.
9. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (1408هـ). الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. الرياض: دار العاصمة.
10. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (1417هـ/1996م). طريق الهجرتين وباب السعادتين. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. الدمام: دار ابن القيم.
11. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (1977م). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. بيروت: دار الكتب العلمية.
12. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر. (1999م). تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). تحقيق: سامي بن محمد السلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
13. ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري. (1955م). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
14. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني. (1998م). مسند الإمام أحمد بن حنبل. القاهرة: دار الحديث.
15. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. (د.ت). تهذيب اللغة. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
16. بوكاي، موريس. (1979م). دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. ترجمة: حسن خالد. القاهرة: دار المعارف.
17. الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى. (د.ت). أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
18. الذهبي، محمد بن حسين. (د.ت). التفسير والمفسرون. القاهرة: دار الكتب الحديثة.

19. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق مرتضى. (1965م). تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء.
20. السهارنفوري، خليل أحمد الأنصاري. (1346هـ). بذل المجهود في حل أبي داود. الهند: مطبعة إدارة المعارف.
21. الشعراوي، محمد متولي. (1991م). تفسير الشعراوي (الخواطر). القاهرة: مطابع أخبار اليوم.
22. الشعراوي، محمد متولي. (د.ت). معجزة القرآن. القاهرة: دار أخبار اليوم.
23. شلبي، هند. (1985م). التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق (ط. 1). تونس: الدار التونسية للنشر.
24. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (1415هـ/1995م). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
25. الطبري، محمد بن جرير. (2001م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر.
26. عفيفي، محمود سراج الدين. (د.ت). العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه: قوانين الله وليست قوانين الطبيعة. القاهرة: دار الفكر العربي.
27. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (1415هـ/1995م). القاموس المحيط. بيروت: دار الفكر.
28. القاسمي، محمد صديق حسن خان. (1978م). فتح البيان في مقاصد القرآن (تفسير القاسمي). بيروت: دار الفكر.
القرآن الكريم.
29. مجمع اللغة العربية. (1380هـ/1960م). المعجم الوسيط (ط. 1). القاهرة: مطبعة مصر.
30. مجموعة من الباحثين. (1999م). الموسوعة العربية العالمية (ط. 2). الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
31. المراغي، أحمد مصطفى. (1946م). تفسير المراغي (ط. 1). القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
32. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود. (1996م). تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل). تحقيق: مروان محمد الشعار. بيروت: دار النفائس.
33. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد. (1416هـ/1996م). تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان). تحقيق: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية.
1. Ibn Hibban, Muhammad ibn Hibban al-Busti. (1993 CE). Sahih Ibn Hibban bi-Tartib Ibn Balban (2nd ed.). Edited by Shu'ayb al-Arna'ut. Beirut: Mu'assasat al-Risalah.
2. Ibn Hajar al-'Asqalani, Ahmad ibn 'Ali. (1380 AH/1960 CE). Fath al-Bari bi-Sharh Sahih al-Bukhari. Edited by Muhibb al-Din al-Khatib. Beirut: Dar al-Ma'rifah.

.3Ibn Sa'di, 'Abd al-Rahman ibn Nasir. (1420 AH). Taysir al-Latif al-Mannan fi Khulasat Tafsir al-Qur'an. Riyadh: Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Da'wah and Guidance.

.4Ibn Sa'di, 'Abd al-Rahman ibn Nasir. (1425 AH). Al-Qawa'id al-Hasan al-Muta'alliqah bi-Tafsir al-Qur'an. Edited by Khalid ibn 'Uthman al-Sabt. Dammam: Dar Ibn al-Jawzi.

.5Ibn Sa'di, 'Abd al-Rahman ibn Nasir. (2001 CE). Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan. Dammam: Dar Ibn al-Jawzi.

.6Ibn 'Uthaymin, Muhammad ibn Salih. (1423 AH). Interpretation of the Noble Qur'an (Surah Al-Baqarah). Dammam: Dar Ibn Al-Jawzi.

.7Ibn Faris, Ahmad ibn Faris Al-Qazwini. (1979 CE). Dictionary of Language Standards. Edited by: Abd Al-Salam Muhammad Harun. Beirut: Dar Al-Fikr.

.8Ibn Qayyim Al-Jawziyya, Muhammad ibn Abi Bakr. (1407 AH/1986 CE). Benefits. Edited by: Ahmad Ratib Armoush. Beirut: Dar Al-Nafais.

.9Ibn Qayyim Al-Jawziyya, Muhammad ibn Abi Bakr. (1408 AH). Thunderbolts Sent Against the Jahmites and the Deniers of Divine Attributes. Edited by: Ali ibn Muhammad Al-Dakhil Allah. Riyadh: Dar Al-Asimah.

.10Ibn Qayyim Al-Jawziyya, Muhammad ibn Abi Bakr. (1417 AH/1996 CE). The Path of the Two Migrations and the Gate of the Two Felicities. Edited by: Omar ibn Mahmoud Abu Omar. Dammam: Dar Ibn Al-Qayyim.

.11Ibn Qayyim Al-Jawziyya, Muhammad ibn Abi Bakr. (1977 CE). Key to the Abode of Happiness and Proclamation of the Authority of Knowledge and Will. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

.12Ibn Kathir, Imad al-Din Ismail ibn Umar. (1999). Tafsir al-Qur'an al-'Azim (Tafsir Ibn Kathir). Edited by: Sami ibn Muhammad al-Salama. Riyadh: Dar Tayyiba for Publishing and Distribution.

.13Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram al-Ansari. (1955). Lisan al-'Arab. Beirut: Dar Sader.

.14Ahmad ibn Hanbal, Abu Abdullah al-Shaybani. (1998). Musnad al-Imam Ahmad ibn Hanbal. Cairo: Dar al-Hadith.

.15Al-Azhari, Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad. (n.d.). Tahdhib al-Lughah. Cairo: Al-Dar al-Misriyya for Authorship and Translation.

.16Bucaille, Maurice. (1979). A Study of the Holy Scriptures in Light of Modern Knowledge: The Torah, the Gospel, the Qur'an, and Science. Translated by: Hassan Khalid. Cairo: Dar al-Ma'arif.

.17Al-Jaza'iri, Abu Bakr Jabir ibn Musa. (n.d.). The Easiest Interpretation of the Words of the Exalted, the Great. Medina: Library of Sciences and Wisdom.

.18Al-Dhahabi, Muhammad ibn Husayn. (n.d.). Interpretation and Interpreters. Cairo: Dar al-Kutub al-Haditha.

.19Al-Zubaydi, Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Razzaq Murtada. (1965). The Crown of the Bride from the Jewels of the Dictionary. Kuwait: Ministry of Guidance and Information.

.20Al-Saharanfuri, Khalil Ahmad al-Ansari. (1346 AH). Exerting Effort in Explaining Abu Dawud. India: Press of the Department of Knowledge.

.21Al-Sha'rawi, Muhammad Mutawalli. (1991). Al-Sha'rawi's Interpretation (Reflections). Cairo: Akhbar al-Yawm Press.

.22Al-Sha'rawi, Muhammad Mutawalli. (n.d.). The Miracle of the Qur'an. Cairo: Dar Akhbar al-Yawm.

.23Shalabi, Hind. (1985). The Scientific Interpretation of the Noble Qur'an: Between Theories and Application (1st ed.). Tunis: Tunisian Publishing House.

.24Al-Shinqiti, Muhammad al-Amin ibn Muhammad al-Mukhtar. (1415 AH/1995 CE). Adwa' al-Bayan fi Idah al-Qur'an bil-Qur'an (Lights of Explanation in Clarifying the Qur'an with the Qur'an). Cairo: Ibn Taymiyyah Library.

.25Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (2001 CE). Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayi al-Qur'an (Tafsir al-Tabari). Edited by: Abdullah ibn Abdul-Muhsin al-Turki. Cairo: Dar Hajar for Printing and Publishing.

.26Afifi, Mahmoud Siraj al-Din. (n.d.). Al-'Ilm al-Hadith Hujjah li-l-Insan am 'alayhi: Qanawin Allah wa Lasit Qanawin al-Tabi'ah (The Comprehensive Explanation of the Interpretation of the Verses of the Qur'an) (The Commentary of al-Tabari). Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi.

.27Al-Fayruzabadi, Muhammad ibn Ya'qub. (1415 AH/1995 CE). Al-Qamus al-Muhit (The Comprehensive Dictionary). Beirut: Dar al-Fikr.

.28Al-Qasimi, Muhammad Siddiq Hasan Khan. (1978 CE). Fath al-Bayan fi Maqasid al-Qur'an (The Opening of Explanation on the Objectives of the Qur'an) (The Commentary of al-Qasimi). Beirut: Dar al-Fikr.

The Holy Qur'an.

.29The Arabic Language Academy. (1380 AH/1960 CE). Al-Mu'jam al-Wasit (1st ed.). Cairo: Matba'at Misr.

.30A group of researchers. (1999 CE). Al-Mawsu'ah al-'Arabiyyah al-'Alamiyyah (2nd ed.). Riyadh: Mu'assasat A'mal al-Mawsu'ah lil-Nashr wa al-Tawzi.'

.31Al-Maraghi, Ahmad Mustafa. (1946 CE). Tafsir al-Maraghi (1st ed.). Cairo: Maktabat wa Matba'at Mustafa al-Babi al-Halabi wa Awladuh.

.32Al-Nasafi, Abdullah ibn Ahmad ibn Mahmud. (1996 CE). Tafsir al-Nasafi (Madarik al-Tanzil wa Haqa'iq al-Ta'wil). Edited by: Marwan Muhammad al-Sha'ar. Beirut: Dar al-Nafa'is.

33. Al-Nisaburi, Nizam al-Din al-Hasan ibn Muhammad. (1416 AH/1996 CE). Tafsir al-Nisaburi (Ghara'ib al-Qur'an wa Ragha'ib al-Furqan). Edited by: Zakariya 'Umayrat. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

The Universe and Its Origin in the Holy Qur'anic Verses

Assist Lect. Samah Hasan Abbas Al-Janabi

Directorate of Education in Al-Qadisiyah

Ministry of Education


samah.hassan.abbas@ec.edu.iq

Keywords: Cosmic Signs, Scientific Inimitability, Creation Stages, Theological Inference, Academic Exegesis

Summary:

This research provides an original study on the cosmic and textual inimitability (I'jaz) in the Holy Qur'an, beginning with a conceptual analysis of the terms "Universe" and "Signs" (Ayat) across linguistic lexicons and modern astrophysics. The study examines the stages of cosmic genesis and the creation of the heavens and the earth in six days, contextualizing the chronological periods according to classical exegetical schools and modern geophysical insights, thereby refuting alleged computational contradictions. Furthermore, it highlights the theological and evidentiary dimensions of intellectual reflection (Tafakkur) within the astronomical and environmental systems by analyzing ten specific Qur'anic contexts. These models demonstrate the Qur'anic methodology of employing cosmic phenomena to establish the realities of monotheism, prove resurrection, and formulate rational arguments, reinforcing the structural integration between authentic revelation and sound intellect